مملكة نبال

حيث يجتمع الفن القديم والحديث

بقلم الاستاذ احمد البدوي

تقع مملكة نبال شمال شرق الهند اذ تحدها (التيبت) شمالا ، والهند جنوبا . وتمتاز هذه المملكة بالجبال المرتفعة التي تطل عليها من الشمال وبجيش كبير العدد بالنسبة لعدد السكان وبحكومة قد منحت المملكة الصغيرة السلام والهدوء الدائمين.

لا يمكن للمسافر ان يصل الى هذه المملكة إلا عن طريق مدينة « روكسل » التي تقع على الحدود بينها وبين الهند ولا سبيل للوصول الى هذه المدينة إلا عن طريق مدينة « باتنا » التي خرج منها امبراطور هذه المنطقة البوذي في سنة ٢٥٠ ق . م الى مملكة نبال للحج . ومن باتنا يأخذ الشخص قارباً يجري في نهر « الكانج » ما يقرب من ست اميال حيث يصل الى القطار الذي يستقله فيجد نفسه في الصباح الباكر في مدينة روكسل ثم يتابع القطار سيره تاركا المدينة خلفه بعد ان سار ما يقرب الميل في داخل شوارعها ، حيث يرى الراكب ، الحوانيت على جانبي السكة الحديد . وبعد ذلك يصل القطار الى حقول الأرز والى منطقة الأحراش التي تعتبر مسارح لصيد النمر ووحيد القرن . وبعد ان يقطع القطار نصف الطريق لا يمكنه ان يتوغل في داخل الغابة حيث الأشجار المتشابكة فيضطر الركاب للنزول ليقطعوا جزءاً من رحلتهم على ظهور الفيلة .

ويمتاز اهل نبال بقدرتهم الفائقة على صيد النمور ، ويقع المكان الذي يصاد فيه النمر على بعد ميلين من نهاية القطار . وطريقة صيده هي ان يحاصر الصيادون وهم على ظهور الفيلة النمر في وسط دائرة ، ويبلغ عدد الصيادين ٩٠ شخصا واغلبهم مسلح ببعض الأسلحة الحديثة . وتستمر الدائرة في الضيق والنمر في الوسط وعندما يرى ان نهايته قد قربت يحاول الفرار من هذا المأزق الذي سيؤدي في النهاية الى قتله ، ولكن فرصة الهرب ضئيلة جداً بسبب الحصار القوى المضروب عليه ، والأشجار القوية التي تحيط بالمكان والتي تساعد على صيده من جهة اخرى ولكن الحيوان لا ييأس بسهولة فيحاول ان يهرب ، ويبعث اصواتا مزعجة ، ليرهب من يحاصرونه ، وفجأة يتلاشى هذا الصوت القوي بنتيجة اطلاق النار عليه ثم يسقط النمر على الأرض. ويعقب ذلك صيحات الانتصار تصدر من افواه الرجال المحاصرين للنمر ثم يتقدم بعض الأشخاص نحو الحيوان حتى يتأكدوا انه قد اسلم الروح فعلا ثم بعد ذلك يركع بعضهم بجوار جثة النمر وهي لاتزال دافئة ، ويضع على الارض بجوار الحيوان خمس او ست اوراق من اشجار الموالح وهي مخضبة بدماء الحيوان إكراما لآلهتهم « كالي » . ومن عادة بعض القبائل التي تعيش في هذه المنطقة ان تطعم اولادها من لحم النمر ليكتسبوا القوة والشجاعة .

ومن اهم وسائل النقل في هذه المناطق الجبلية ، هي العربات التي تجرها الأمهار صغار الخيل ، ويوجد نوعان من هذه العربات : النوع الاول هو عبارة عن كرسي من الخشب له مقعد من الجلد يجلس عليه الانسان ، اما النوع الثاني فهو عبارة عن اعمدة من الخشب يصل مابينها قماش السكتان حيث يتمكن الانسان ان ينام عليها . ويحمل ٦ حمالين هنود كلا النوعين وهم يرتدون ملابس قطنية زرقاء براقة . ويمكن للانسان ان يستريح في هذه العربة مادام الحمالون سائرين بهدوء اما اذا بدؤا بالركض كما هي العادة عندهم وهم نازلون من على الجبل فلا يتمكن الشخص من ان يثبت في مكانه بسهولة ولا يتمكن من ان يجلس جلسة مريحة ، اما صغار الخيل « المهار » فهي من انسب وسائل المواصلات في هذه المنطقة ولا يتوالد هذا النوع في نبال وانما يستورد من التبت ويتمكن من ان يصعد الجبل وينزل منه بخفة القردة .

ويسكن الفلاح في نبال منزلا يتألف من طابقين قائمين بالحجارة ، وبه بعض الشرفات الخشبية ، وسقف المنزل عادة من القش . ومنازلهم مدهونة عادة باللون الأحمر وهذا اللون يجعل المنازل ذات لون جميل وخصوصا اذا كانت موجودة بين حقول الأرز او الخردل .

وعندهم جيش يبلغ عدده ٤٥ الف مقاتل من بين عدد السكان البالغ عددهم خمسة ملايين وستمائة الف نسمة ، ويمكن

ان يزداد عدد الجيش الى ٧٠ الف مقاتل اذا اقتضت الحاجة لى ذلك . ويختار الجنود من الرجال ذوي الأجسام الكبيرة القوية وهؤلاء متوفرين عندهم .

وتمتاز العاصمة « كاتمندو » بانها خليط يجمع بين القديم والحديث من حيث الفن والمباني والعادات والطرق وغيرها، ففي الغرب تقع المدينه القديمة بقصورها الفخمة ومعابدها الجميلة ومنازلها المرتفعة وشوارعها الضيقة ويوجد بها كذلك قصر الملوك السابقين وهو مبني حول ساحة رحبة وتشاهد بجانبه ابراج المعبد الشاهقة وحول القصر والمعبد يوجد عدد كبير من المعابد والمقابر واعمدة طويلة تحمل في نهاياتها تماثيل من البرنز للملوك والشخصيات الدينية المختلفة .

وبجانب هذه المباني القديمة يوجد قصر الملوك الجدد، وهو عبارة عن قصر ابيض كبير يحتوي على القاعات الواسعة للضيوف وعلى حجرات كثيرة تستعمل في الحفلات المهمة . وتمتاز المدينة الحديثة بوجود المدارس والمستشفيات والثكنات العسكرية والسجون التي بنيت على النظم الاوروبية التي قام بتصميمها بعض الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وشوارع المدينة الحديثة عريضة وجميلة ، تسير بها السيارات الخاصة وسيارات النقل ، وان الانسان لتتولاه الدهشة عندما يعرف ان هذه السيارات المختلفة الاشكال والأحجام ، قد وصلت الى شوارع هذه المدينة وهي محمولة على ظهور الحمالين الهنود فنجد من ذلك ان الحال قد انقلب وان الانسان اصبح يحمل السيارة ويسير بها !

والملك في نبال شخصية دينية اكثر منها سياسية ، اما الحاكم الفعلي للمملكة فهو رئيس الوزراء او « المهراجا » .

ويعمل الملك باستمرار على ادخال كل النظم والمخترعات الاوروبية الحديثة الى بلاده ولكنه وقف امام بعضها ومنعها عن بلاده — كالسينما مثلا — لأنه يعتقد بان ادخال الأشرطة السينمائية التي تمثل الحياة الغرامية من الغرب الى بلاده يؤثر تأثيراً سيئاً في اخلاق النظارة من اهل بلاده .

ولقد ارسل أحد الأمراء بعض خدمه الى دلهي فذهبوا الى السينما وقد رجعوا الى المملكة وهم مملوئين بالرعب والخوف قائلين بان الممثلين الذين شاهدوهم في السينما لا يمكن ان يكونوا رجالا حقيقيين وان كانوا موجودين حقيقة على ظهر الارض فلا يحق لهم ان يعيشوا !

وتدق الأجراس في العاصمة عند الساعة العاشرة مساء كما تدق ايضاً في جميع المدن الكبيرة تعلن للناس ان يذهبوا الى منازلهم وكل شخص يضبط في الطريق بعد هذه الساعة يقضي ليلته في السجن . وشرب الخمر ولعب القمار ممنوعان منعاباتا في هذه البلاد إلا في بعض الحفلات والمهرجانات الوطنية.

وتمتاز هذه المملكة بكثرة معابدها، فبكل مدينة عدد من المعابد الخاصة بها ، وبعضها مؤلف بالفضة ، هذا زيادة على تماثيل الآلهة التي يعبدونها ، ولا يجوز لأي شخص اوروبي او اجنبي ان يدخل من باب احد هذه المعابد .

والحلاقون عندهم يحلقون للعامة في الميادين وعلى جانبي الطرق العامة ، فيجلس الحلاق تحت مظلة عادية ويخلع نعليه ويضعها بجانبه حتى يكون في راحة دائمة ويبدأ عملية قص الشعر ثم يجمع الشعر بجواره ، والحلاق فقط هو الذي يستظل بالمظلة اما الزبون فتقع على رأسه أشعة الشمس المحرقة الى ان ينتهي هذه العملة الشاقة . وبجوار كميات الشعر المتراكمة نجد اسواق الخضروات والطعام والفاكهة .

ومن عادة الهنود في الجنوب ان يستحموا في مياه نهر الكانج المقدس ليتطهروا من ذنوب قد ارتكبوها فيما مضى اما اهل نبال فانهم يستحمون في مياه نهر « باجماتي » . ويحضرون الى المياه المقدسة كل من يتوفى في انحاء المملكة ويضعونه في مكان منحدر حتى ان اقدامه تلمس المياه المقدسة ثم بعد ذلك يجمعون بعض الأخشاب ويضعون الجثة بينها ثم يشعلون فيها النار ثم بعد ذلك يجمع ماتبقى من الجثة ويقذف به في النهر المقدّس .

والنساء عندهن مقدرة عظيمة على حمل الاحمال مهما كانت ثقيلة ويمكن للمرأة ان تصعد بحملها الى اعلى الجبل بدون ان تظهر عليها علائم التعب وذلك ناتج من تربيتها وتكوينها الجسماني الذي يساعدها على القيام بهذا العمل الشاق .

والفرق الموسيقية عندهم مكوّنة من الطبله (والفلوت) ويصحب انغام الآلات الموسيقية الغناء والتصفيق بالأيدي متتبعين النغمات التي تصدر من الآلات الموسيقية ويسمع هذا